

**رسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية: دراسة في
التحليل النقدي للخطاب وفق المقاربة الإدراكية الاجتماعية
لفان دايك**

أ.م.د. زهراء جياذ عباس البرقعلاوي

جامعة الكوفة - كلية الآداب

**Imam Ali's (peace be upon him) Letters to Mu'awiya: A
Critical Discourse Analysis Based on Van Dijk's Socio-
Cognitive Approach**

Asst. Prof. Dr. Zahraa Jiyad Al-Barqaawi

T University of Kufa – College of Arts

zahraac.albarqaawee@uokufa.edu.iq

الخلاصة :

تتناول هذه الدراسة رسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية من منظور التحليل النقدي للخطاب وفق المقاربة الإدراكية-الاجتماعية لفان دايك. وتركز على تفكيك البنى الخطابية والدلالية التي استعملها الإمام لتأكيد شرعيته وتقويض مشروعية خصمه، من خلال تمثيلات إدراكية، وذاكرة جماعية، وبناء رمزي للذات والآخر. وتكشف الدراسة عن كيفية اشتغال اللغة في إنتاج الهيمنة، وإعادة تشكيل الوعي الجماعي في سياق الصراع السياسي الإسلامي المبكر.

الكلمات المفتاحية:

فان دايك، التحليل النقدي للخطاب، المقاربة الإدراكية الاجتماعية

Abstract:

This study examines the letters of Imam Ali (peace be upon him) to Muawiyah through the lens of Critical Discourse Analysis, specifically applying Teun van Dijk's socio-cognitive approach. It focuses on deconstructing the discursive and semantic structures employed by the Imam to affirm his legitimacy and delegitimize his opponent, using cognitive representations, collective memory, and symbolic constructions of the self and the other. The study reveals how language functions to produce ideological dominance and reshape collective consciousness within the context of early Islamic political conflict.

Key words:

Van Dijk, Critical Discourse Analysis: The Socio-Cognitive Approach

Journal of Arabic Language and Literature. No. 41 Dhu Al-Hijjah 1446 - Jun 2025	ISSN Print 2072 -4756 ISSN Online 2664-4703	مجلة اللغة العربية وأدائها العدد: ٤١ ذو الحجة ١٤٤٦ - حزيران ٢٠٢٥
--	--	--

المقدمة

تحظى رسائل الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) إلى معاوية بن أبي سفيان بأهمية خاصة في التراث السياسي-الخطابي الإسلامي، لما تنطوي عليه من كثافة بلاغية، ومحتوى معرفي، وبنية لغوية تستبطن سجلاً تاريخياً-عقائدياً عميقاً حول مفاهيم السلطة والشرعية والعدالة. وهي نصوص لا تمثل مجرد مكاتبات سياسية ظرفية، بل تجسد خطابات محورية تؤسس لمواقف فكرية.

ومن هذا المنطلق، تفتتح هذه الرسائل على أفق تحليلي يتجاوز القراءة السردية التقليدية إلى تحليل بنيوي-اجتماعي يُعنى بكيفية تمثيل السلطة، وتشكيل صورة الذات والآخر، وبناء الشرعية أو تفويضها من خلال اللغة. ويُعد التحليل النقدي للخطاب (Critical Discourse Analysis) من أبرز المناهج التي توفر أدوات نظرية وتطبيقية لفهم هذا النوع من الخطابات، لا سيما عبر مقارنة فان دايك الإدراكية-الاجتماعية التي تدمج بين أبعاد الخطاب، والإدراك، والمجتمع ضمن شبكة متفاعلة تُبرز البنى الإيديولوجية المضمرة في النصوص.

ترتكز هذه الدراسة على تحليل معمق لرسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية من خلال منهج فان دايك، بوصفه أحد أبرز منظري التحليل النقدي للخطاب، من خلال ما اقترحه من نموذج ثلاثي يشمل: البنية الخطابية (الماكرو والميكرو)، البنية الإدراكية (النماذج الذهنية والذاكرة الإيديولوجية)، والبنية الاجتماعية (تمثيل الفاعلين والأفعال داخل الخطاب). وتهدف الدراسة إلى الكشف عن كيفية اشتغال هذه البنى لتأسيس سلطة رمزية تُعيد ترتيب العلاقة بين الدين والسياسة، بين الجماعة والقيادة، وبين الماضي والحاضر في ضوء صراع الهويات وتنازع الشرعيات.

وتسعى هذه المقاربة إلى تجاوز القراءة التاريخية نحو قراءة نقدية-إجرائية، تُبرز التوظيف التداولي للأدلة، والبنية الإيديولوجية للتمثيلات، والدينامية المعرفية التي تتحكم في إنتاج المعنى وتوجيهه داخل السياق الاجتماعي والسياسي آنذاك. ويظهر التحليل أن الإمام علي (عليه السلام) قد استثمر في هذه الرسائل قدراً عالياً من الوعي البلاغي والفكري، إذ انبنت خطاباته على استراتيجيات

متعددة: التضمنين، النفي، الاستعارة، التهديد الرمزي، والتفوق الحجاجي، لتكوين نموذج ذهني يرسخ مشروعيته ويقصي خصمه من المجال الديني والسياسي معاً. وانطلاقاً من ذلك، تمثّل هذه الدراسة محاولة لفهم الخطاب السياسي العلوي بوصفه فعلاً لغوياً محملاً بالمعرفة والسلطة، وتفكيك آليات بنائه من خلال أدوات التحليل النقدي للخطاب، بما يسهم في قراءة جديدة لتاريخ الإسلام السياسي، وتوسيع نطاق فهمنا للممارسة الخطابية في لحظة مفصلية من تاريخ الأمة الإسلامية.

التمهيد .

تُعنون كثير من المؤلفات والمقالات العربية بـ"التحليل النقدي للخطاب" أو "تحليل الخطاب النقدي"، وكلا العنوانين يمثلان ترجمة شائعة لما يُعرف في الأدبيات الغربية بـ **Critical Discourse Analysis**، حيث ترتبط الصفة **Critical** بالمركب الاسمي **Discourse Analysis**، ما يعني أن المقصود ليس تحليل خطاب يتصف بـ"النقدية"، بل هو نوع خاص من تحليل الخطاب يتسم بطابع نقدي في مضمونه ومنهجيته. ومن ثم، فإن الترجمة الأدق هي: "التحليل النقدي للخطاب"، على اعتبار أن الصفة "نقدي" تنتمي إلى نوع التحليل لا إلى الخطاب ذاته (بكار، سعيد، 2021، 443).

نشأ التحليل النقدي للخطاب في تسعينيات القرن العشرين بوصفه توجهاً معرفياً جديداً في دراسات الخطاب، ولاقى منذ انطلاقه اهتماماً واسعاً لدى الباحثين، خاصة في الأوساط الأكاديمية الأوروبية (عبد اللطيف، عماد، 2009، 69). وتعود أصول هذا الاتجاه إلى النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت التي ظهرت في سياق ما بعد الحربين العالميتين، حيث أسهمت في صياغة منطلقات نقدية لفهم العلاقة بين اللغة والسلطة، وفضح الأنساق الإيديولوجية المضمرّة في الممارسات الخطابية (عبيدي، منية، 2018، 38).

وقد مثّل كل من نورمان فيركلف، وتيون فان دايك، وروث ووداك، أبرز رواد هذا الاتجاه، إذ وضع كل منهم إطاراً نظرياً متميزاً أسهم في بلورة ملامح هذا الحقل. فأصدر فان دايك أول مجلة متخصصة بعنوان الحوار والمجتمع عام 1990، ثم تتابعت مؤلفاته التي شكلت نواة مرجعية في هذا المجال. وقد تلا هذا

التأسيس الفردي، لقاء جماعي مهم في أأمستردام عام 1991، اجتمع فيه عدد من المؤسسين، واتفقوا على مبادئ تحليلية نقدية شكلت الأرضية المشتركة لمجال التحليل النقدي للخطاب (وهابي، نزيهة، 2020، 66).

يرى فان دايك أن هذا الحقل يستمد رؤيته من اللسانيات النقدية لمدرسة فرانكفورت التي بدأت تظهر في سبعينيات القرن العشرين، ويؤكد أن التحليل ينبغي أن ينصرف إلى المشكلات الاجتماعية والقضايا السياسية الكبرى بدلاً من الانشغال بالنماذج النظرية المعزولة. كما يشدد على أهمية أن يكون التحليل متعدد التخصصات، يجمع بين دراسة بنى الخطاب وتحليل الهياكل الاجتماعية التي تنتج وتعيد إنتاجه (دايك، فان، 2014، 191).

ويتمثل جوهر هذا المنهج في رصد تمظهرات السلطة، والهيمنة، والتفاوت الطبقي، والكشف عن آليات المقاومة والممانعة كما تنعكس في النصوص والخطابات، وخصوصاً في المجالات الحساسة كالإعلام والسياسة والتعليم. وقد أشار الباحثان محبوب و بلتريدج إلى أنه من الأهمية بمكان دراسة كيفية تفعيل السلطة وأن نفهم السبل التي تمارس بها السلطة من قبل المجموعة المهيمنة على المضطهدين (Paltridge & Mahboob A, 2013, pp22-75).

يُعدّ التحليل النقدي للخطاب، من أبرز الاتجاهات الحديثة في تحليل الخطاب، إذ يتميز هذا التوجّه بطبيعته النقدية التي تتجاوز الوصف السطحي إلى تفكيك العلاقات العميقة بين اللغة والسلطة، ويقوم هذا المجال على تعددية منهجية ومعرفية، تسمح له بالانفتاح على تخصصات متعددة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بما يتيح له تحليل الظواهر الاجتماعية المعقدة.

وانطلاقاً مما تقدم، يُمكن النظر إلى التحليل النقدي للخطاب بأنه كل ممارسة أكاديمية تتسم بأربع خصائص مركزية (عبد اللطيف، عماد، 2019، 21):

1. إنها تتعامل مع الخطاب بوصفه استخداماً فعلياً للغة والعلامات في السياقات الواقعية.

2. إنها تتخذ موقفاً نقدياً واضحاً من العلاقة بين الخطاب والسلطة، سعياً إلى كشف آلياتها.

3. إنها تقوم على تحليل معمق للظواهر اللغوية والتداولية والبلاغية والأدائية، لتدعيم ما تطرحه من أطروحات.
 4. إنها تسعى إلى فهم العلاقة التفاعلية بين الخطاب والممارسات الخطابية من جهة، والممارسات الاجتماعية من جهة أخرى.
- وقد حدّد كلٌّ من نورمان فيركلف وروث ووداك جملة من المبادئ الأساسية التي يقوم عليها التحليل النقدي للخطاب، أبرزها (عبيدي، منية، 2018، 83):
1. الانشغال بالمشكلات الاجتماعية ومحاولة تحليلها وفهمها من خلال الخطاب.
 2. اعتبار علاقات السلطة علاقات تُبنى ويُعاد إنتاجها عبر الخطاب.
 3. النظر إلى الخطاب بوصفه تمثيلاً للمجتمع والثقافة التي ينشأ فيها.
 4. التركيز على البعد الأيديولوجي للخطاب وكشف تمثلاته.
 5. مراعاة البعد التاريخي للخطاب من حيث النشأة والتحول والدلالة.
 6. اضطلاع الناقد بوظيفة تأويلية تشرح وتفسر الخطاب ولا تكتفي بوصفه فقط.
 7. الإيمان بأن العلاقة بين النص والمجتمع علاقة توطئة، أي أن الخطاب لا ينفصل عن محيطه الاجتماعي.
 8. اعتبار الخطاب شكلاً من أشكال الفعل الاجتماعي المؤثر في الواقع.

في هذا السياق، يبرز دور التحليل النقدي للخطاب **Critical Discourse**

Analysis بوصفه منهجاً يسعى، وفقاً لتعريف فان دايك، إلى تفكيك البنى الخطابية التي تُعيد إنتاج علاقات السلطة بين الأجناس والأعراق والطبقات الاجتماعية، بهدف فهمها والعمل على تغييرها. ويهدف هذا التحليل كذلك إلى الكشف عن تجليات الأيديولوجيا، والهيمنة، والتسلط الاجتماعي، والتفاوت الطبقي، عبر تتبع الكيفية التي تظهر بها هذه الظواهر ويعاد إنتاجها وتقاوم من خلال الممارسات اللغوية في السياقات الاجتماعية والسياسية المتنوعة (الزليطني، محمد لطفي، 2014، 12-13).

وانطلاقاً من هذه الرؤية، يتبنى رواد هذا الاتجاه موقفاً نقدياً صريحاً يسعى إلى تفكيك مظاهر اللامساواة الاجتماعية، وفضح بنيات الهيمنة، والمساهمة في تقويضها، مما يمنح التحليل النقدي للخطاب بعداً تحريراً وأخلاقياً يتجاوز الوصف إلى الفعل والمساءلة.

يسعى التحليل النقدي للخطاب إلى الإجابة عن سؤالين محوريين: ما الذي يُقال في مجتمع ما؟ وكيف يُقال؟، كما يعمل على الكشف عن الحدود التي تُرسم لما يمكن قوله أو فعله، والآليات الخطابية التي تجعل بعض التصريحات تبدو منطقية أو غير قابلة للنقاش (فوداك، روث، ماير، ميشيل، 2014).

ويرى كل من كريستوفر هارت وبيوتر كاب أن الإحاطة الكاملة بالتحليل النقدي للخطاب أمر صعب، نظراً لغناه النظري وتجده المستمر. وقد أشارا إلى ذلك في مقدمة كتابهما الدراسات النقدية المعاصرة للخطاب، حيث أبرزتا الطبيعة الديناميكية لهذا المجال المعرفي، إذ لم تكد تُؤسس انطلاقته المؤسساتية رسمياً عام 1991، حتى بدأت مقارباته تتشعب وتتطور، متأثرة بنقد داخلي وخارجي، وساعية إلى تجاوز نقاط ضعفها من خلال التفاعل مع مقاربات أخرى (بكار، سعيد، 2021، 452).

وعلى الرغم من هذا التنوع، يمكن التمييز بين ثلاث مقاربات رئيسة تُعدّ أعمدة التحليل النقدي للخطاب، وهي:

1. المقاربة الجدلية-العلائقية (Norman Fairclough)

2. المقاربة التاريخية (Ruth Wodak)

3. المقاربة المعرفية-الاجتماعية (Teun van Dijk)

أما المقاربات الأخرى، فغالباً ما تنشأ كردود فعل على القصور المنهجي في المقاربات الثلاث، وتبقى هذه المقاربات التي تُدرج نفسها تحت مظلة التحليل النقدي للخطاب بمثابة تطبيقات وظيفية لهذا المشروع النقدي، تسعى إلى تحليل الخطابات في مجالات متعددة مثل الثقافة، الإعلام، السياسة، والدين وغيرها، دون أن تضيف مقاربة نظرية مستقلة.

المقاربة الإدراكية- الاجتماعية

تُعد المقاربة الاجتماعية الإدراكية التي طوّرها فان دايك من أبرز وأكثر مقاربات التحليل النقدي للخطاب حضوراً في التطبيقات العملية، خاصة في ميدان الخطاب الإعلامي. وتشير أعماله المبكرة في هذا المجال، مثل كتاب تحليل الأخبار (1988)، والأخبار كخطاب (1988)، والعنصرية في الأخبار (1991)، إلى اهتمام مبكر بتفكيك الخطابات الإعلامية من منظور نقدي (صالح، حسام الدين عبد القادر، 2023، 64).

وتستند المقاربة الإدراكية إلى جذور تعود إلى المقاربة الوظيفية النظامية التي أسس لها مايكل هاليداي في عام 1989، والتي بُنيت على ثلاث وظائف لغوية رئيسية (نحلة، محمود أحمد، 2001، 53):

1. الوظيفة الفكرية، وتتمثل في كيفية تمثّل العالم ذهنياً داخل الخطاب.
 2. الوظيفة التبادلية، التي تُعنى بالتفاعل الاجتماعي بين الأفراد داخل البنية المجتمعية.
 3. الوظيفة النصية، التي تُعالج النص بوصفه حدثاً تواصلياً منظماً يتكوّن من عناصر مترابطة ومتجانسة داخل بنية لغوية منسجمة.
- إذ تقوم هذه المقاربة على أساس معرفي بيني متعدد التخصصات، حيث يمزج فان دايك بين علم اللغة الوظيفي واسع النطاق، والنظرية الإدراكية الاجتماعية، مؤكداً على أهمية السياق بوصفه ركيزة أساسية في التحليل.
- يعتمد فان دايك في مقاربهته على نموذج ثلاثي الأضلاع يوضح الترابط بين: (الخطاب، الإدراك، والمجتمع)، حيث يُعد الإدراك عنده هو الحلقة الوسيطة بين الخطاب والبنية الاجتماعية. أي أن الإدراك هو التفاعل العقلي الذي يربط ما يُقال بما يحدث اجتماعياً (وهابي، نزيهة، 2020، 70).

وقد وصف فان دايك هذا النهج بأنه يقوم على حركة مزدوجة من أسفل إلى أعلى (من التفاعل الخطابى إلى البنى الاجتماعية)، ومن أعلى إلى أسفل (من السياقات الاجتماعية إلى إنتاج الخطاب). لذا، يرى أن أي دراسة ضمن هذا

الإطار يجب أن تشمل الأبعاد الثلاثة: الخطاب، الإدراك، المجتمع، مع توصيته - وإن لم يطبقها دائماً - بإضافة البعدين التاريخي والثقافي لتعميق التحليل (بايكر، بول، ايلينج، سيبونيل، 2018، 132).

المقاربة الثلاثية لفان دايك (الخطاب، الإدراك، المجتمع).

أولاً: العنصر الخطابي:

يتمثل البعد الاجتماعي في نموذج فان دايك في البنى والمؤسسات التي تملك سلطة التأثير في الخطاب العام، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. وتشمل هذه الجهات: النخب السياسية، ووسائل الإعلام الجماهيرية، ومؤسسات التعليم، ومراكز الثقافة، والقطاع الاقتصادي. وتؤدي هذه الفواعل الاجتماعية دوراً مركزياً في إنتاج الخطاب وتنظيمه وتوجيهه.

من جهة أخرى، فإن العلاقة بين العنصر الاجتماعي والعنصر الخطابي تتجلى في أن الخطاب ذاته يُعد نتاجاً لتنظيم داخلي تحكمه العلاقات بين التنظيمات الاجتماعية، ويُعيد إنتاج هذه العلاقات عبر ممارساته اللغوية والرمزية. فالخطاب لا يعكس البنية الاجتماعية فحسب، بل يُسهم أيضاً في تكريسها أو نقدها (محمد، علي محمود، غضبان، حيدر، 2022، 645).

وتُعد ثنائية "نحن" مقابل "هم" إحدى الأدوات المركزية في بناء التمثيلات الأيديولوجية، إذ تُستدعى هذه الثنائية لتأكيد الانتماء الداخلي للمجموعة (نحن)، وتحديد الآخر المختلف أو المعارض (هم)، بما يحمله كل من الطرفين من إحالات إيجابية أو سلبية تُسهم في تعزيز التضامن أو تغذية النزاعات (دايك، فان، 2014، 37).

ويميز فان دايك في تحليله للنصوص بين مستويين رئيسيين من التنظيم

الكلي:

أولاً: البنى الكلية (Macro-Structures)

وهي تمثل المستوى الأول، وتعنى بتنظيم محتوى النص بناءً على الموضوع والمعنى العام للألفاظ. وتُبنى هذه البنى على قدرتنا العقلية في تلخيص واختصار المعلومات، حتى المعقدة منها، ضمن مقترحات كلية تعبر عن الفكرة المحورية أو الثيمة الأساسية للنص بأكمله.

ولتحقيق هذا التلخيص، يحدد فان دايك ثلاث قواعد أساسية:

- **الحذف:** إزالة جميع المعلومات التي لا ترتبط بالموضوع الرئيسي.
- **التعميم:** إنتاج مقترح عام يشمل مجموعة من المقترحات الجزئية من خلال التجريد.
- **الدمج:** تنظيم المقترحات الجزئية ضمن تسلسل محدد، ثم استبدالها بمقترح كلي جديد يختزل مضمونها.

يمثل تحديد البنى الكبرى **Macrostructures** إحدى المراحل الأساسية في التحليل النقدي للخطاب، إذ إنها تكشف عن الجوهر الدلالي والموضوعي للنص. ويعرفها فان دايك بأنها: ((وجه الترابط لا على مستوى الجمل بل على مستوى النص بأكمله، أو الوحدات الكبرى للنص)) (دايك، فان، 2001، 74).

ويمكن تحديد البنى الكبرى في رسائل الإمام علي (عليه السلام) الى معاوية ففي قوله (عليه السلام) ((بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضا)) (الدينوري، ابن قتيبة، 1990، 17 / 1).

يتمحور الموضوع الكلي لهذه الرسالة حول تأكيد شرعية الإمام علي عليه السلام بوصفها امتداداً مؤسسياً وسياسياً للشرعيات التي تأسست بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، والمتمثلة في البيعة للخلفاء الثلاثة الأول، واعتبار تلك الشرعية نابعة من إجماع المهاجرين والأنصار، مما يجعلها ملزمة دينياً وسياسياً

رسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية..... (289)

ويُجرّد المعارضة من مشروعيتها الدينية والاجتماعية، ونستطيع تحديد الآليات التي من خلالها تبنى البنية الكلية للنص من خلال الآليات الآتية:

1- آلية الإحالة التاريخية لتقليد البيعة.

يرتكز النص على إحالة مرجعية إلى النموذج السياسي المتبّع بعد وفاة النبي محمد (ص)، وهو منظومة البيعة للشخصيات الثلاث الأولى (أبو بكر، عمر، عثمان) وتستعمل هذه الإحالة كأداة إضفاء شرعية تاريخية على خلافة الإمام علي، مع التأكيد على أن المعيار لم يتغيّر، وأن اختيار الأمة هو الأساس لا الوراثة أو القسر.

2- إعادة إنتاج إجماع الصحابة كمصدر للسلطة.

العبارة (فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً) تعبّر عن مفهوم الشورى بوصفها إطاراً مؤسسياً للحكم، فالإمام علي (عليه السلام) هنا يُفعل ذلك المفهوم لصالحه من خلال إبراز الانتماء إلى الإجماع، لا الخروج عنه، ما يجعله الطرف الممثل للشرعية الجماعية.

3- حجة الإنزام.

بقوله (عليه السلام) (لا للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ) تمثل هذه الجملة إغلاقاً لغويًا للباب على أي طعن لاحق، تصاغ هنا كلية مفادها أن المشاركة الجماعية في البيعة تلغي الحق الفردي في الرفض أو النقض، وبالتالي فإن موقف معاوية بوصفه غائباً لا يعطيه أي حق في الاعتراض.

يأتي هذا الخطاب في سياق اشتداد الاختلاف بين أهل العراق والشام إذ يتجه الإمام علي (عليه السلام) في هذه الرسالة إلى إعادة بناء الشرعية مستندا إلى الإرادة الجمعية للأمة الإسلامية الأولى، تحديداً المهاجرين والأنصار، وتسعى هذه الرسالة الى تقويض الأساس الشرعي الذي تقوم عليه معارضة معاوية، وبيان حقيقتها على أنها تمرد على الإجماع، لا تصحيحاً له، ووصف هذا الإجماع بكونه استمراراً رضائياً لإرادة الله.

Journal of Arabic Language and Literature. No. 41 Dhu Al-Hijjah 1446 - Jun 2025	ISSN Print 2072 -4756 ISSN Online 2664-4703	مجلة اللغة العربية وأدائها العدد: ٤١ ذو الحجة ١٤٤٦ - حزيران ٢٠٢٥
---	--	--

يُمكن اعتبار هذه الرسالة تمثيلاً نموذجياً للبنية الكلية في الخطاب العلوي، حيث تُبنى الحجج من خلال الاستدعاء التاريخي المشروع، والتوظيف الرمزي للإجماع الإسلامي، وإبطال الخصومة بتقنيات الإحالة والتعميم، وتغيب البعد العاطفي أو التبريري لصالح لغة تقريرية تفرض نفسها، وهنا يؤكد الإمام (ع) كونه ضامناً شرعياً لوحدة الجماعة، وقاضياً على كل انقسام بوصفه انشاقاقاً عن الأمة والإسلام ذاته.

أما قوله (عليه السلام) ((فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإن أحب الأمور إليّ فيك العافية)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 2007، 3 / 300).

فهي دعوة إلى الانضمام لجماعة المسلمين بوصفها السبيل إلى السلام، وتحذير من العزلة السياسية التي تُقابل بالرفض العادل والرد بالمثل، مع تلميح إلى خيانة موصوفة دينياً، لا مجرد موقف سياسي، من خلال مجموعة من الآليات:

1- استراتيجية الإدماج الجماعي: (فادخل فيما دخل فيه المسلمون).

النص يبدأ بصيغة أمر، لكنه يحمل دلالة جماعية، إذ يُؤسس تماهياً بين الجماعة والإسلام نفسه، حيث لا يُقال فادخل في طاعتي بل فيما دخل فيه المسلمون، ما يُكسب الخطاب مشروعية عامة تتجاوز الشخص وتحيل إلى جماعة المؤمنين كمصدر شرعي أعلى إذ تعيد تشكيل المعنى الكلي للصراع ليصبح بين الجماعة المؤمنة والمفارقة لها.

2- البنية الحجاجية الأخلاقية: (أحب الأمور إليّ فيك العافية).

ينتقل الإمام إلى تلميح لهجة النص، مستعملاً أسلوب التفضيل الأخلاقي (العافية لا الانتقام)، مما يمنح خطابه طابعاً أبوياً/راعياً لا سلطوياً. غير أن "العافية" ليست مطلقة، بل مشروطة بالموقف السياسي أن لا تُظهر الكراهة لما أنا عليه، من خلال بعد حجاجي قائم على الجمع بين الرحمة والعدل، وبين الدعوة والمواجهة.

يبني النص رؤية إيديولوجية عن السلطة بوصفها تعاقدًا جماعيًا يقوم على البيعة لا على الميراث أو المطالبة بالثأر كما يعيد تأويل الشرعية عبر فقه الجماعة (المسلمون) وينزع الشرعية عن الخارجين بصياغة معرفية دينية لا سياسية فقط أو المطالبة بالثأر، كما يُعيد تأويل الشرعية عبر فقه الجماعة (المسلمون)، وينزع الشرعية عن الخارجين بصياغة معرفية دينية لا سياسية فقط. والسلطة إما سيادية تمارسها الدولة التي لها السلطة لتعاقب الناس أو تقتلهم، أو سلطة تأديبية وهي طريقة لتأكيد أن الناس يمارسون التحكم في ذواتهم أو الانصياع لتجارب ذوي الخبرة منهم (بايكر، بول، ايلينج، سيبونيل، 2018، 96).

وبهذا تظهر الرسالة قدرة الإمام علي (ع) على استعمال البنية الكلية للخطاب لبناء تصور متكامل للشرعية، يجمع بين اللغة الأخلاقية، والمرجعية الدينية، والتكتيك السياسي.

أما قوله عليه السلام ((فأنا أبو الحسن قاتل جدك وأخيك وخالك)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 2007، 15 / 79). في النص إعادة تعريف الصراع السياسي عبر تصويره إلى صراع وجودي تاريخي - دموي بين مشروعين متعارضين: مشروع الحق، ومشروع الطغيان الأموي، في سياق يقدم فيه الإمام (عليه السلام) نفسه رمزاً للهزيمة المستمرة للظلم، أما الآليات التي تم فيها بناء البنية الكبرى في هذا النص فهي كالآتي:

1 - تجسيد للموقف البطولي ونصرة الحق في ميادين القتال.

إن العبارة (قاتل جدك وأخيك وخالك) تستدعي الذاكرة القتالية والجهادية للإمام علي، لا بوصفها تآراً شخصياً، بل تجسيداً لموقف مبدئي ثابت في الدفاع عن الرسالة منذ بواكيرها الأولى. إنها تُعبّر عن استمرارية الإمام في الوقوف إلى جانب الحق والرسالة النبوية في كل مفاصل التاريخ الإسلامي الحاسم، بدءاً من بدر إلى صفين. في المقابل يتموضع بنو أمية، وفق هذا التمثيل الخطابي بوصفهم الامتداد التاريخي لرفض الرسالة الإسلامية منذ ظهورها، حيث كانوا في صف الكفر في معارك الإسلام الأولى ثم تحوّلوا بعد الفتح إلى قوة

داخلية تنازع على السلطة لا من منطلقات إيمانية، بل من منطلق الثأر التاريخي لهزائمهم أمام مشروع النبوة وعليه، فإن البنية الكلية لهذه الرسالة لا تطرح صراعاً سياسياً ظرفياً، بل تُعيد تأطير المواجهة بوصفها صراعاً وجودياً بين الحق الرسالي المتجسد في شخصية الإمام علي، والباطل الموروث المتجذر في تاريخ بني أمية بهذا، يُنتج النص خطاباً يُقضي معاوية من دائرة الشرعية لا بناءً على موقف آني، بل بوصفه حاملاً لإرث معادٍ للنبوة، ويُرسخ قطيعة أخلاقية وعقائدية مع مشروع الرسالة.

2- الكنية كرمز للهبة والشرعية: (أنا أبو الحسن).

لا يُقدّم الإمام علي (عليه السلام) نفسه بتسمية مباشرة (أنا علي)، بل يختار الكنية بوصفها أداة تعظيم رمزي ذاتي، تحمل في طياتها شيفرة ثقافية-تاريخية ترتبط في الوعي الإسلامي بشخصية بطولية صلبة، خاضت المعارك الكبرى في بدر وأحد والخندق، وثبتت في مواضع زلّت فيها الأقدام هذه الكنية ليست مجرد تسمية أبوية، بل تُعيد بناء البنية الخطابية للذات ضمن خطاب الهيبة والشرعية؛ إذ ترتبط مفردة (أبو الحسن) مباشرة بأدواره العسكرية والسياسية والعقائدية، وتُستدعى في لحظة اشتباك خطابية لتفعيل الذاكرة الجمعية للمسلمين، التي تحتفظ بصورة علي بن أبي طالب كمجاهد أول، ومناصر دائم للنبي في أحلك الظروف واختيار الإمام لهذه الكنية بالذات يعكس وعياً لغوياً-رمزياً دقيقاً؛ فهي ترتبط باسم الحسن بن علي (عليه السلام)، سبط النبي وريحانته، مما يمنحها امتداداً رسالياً-نبوياً، ويُذكر الخصم والسامع معاً بالعلاقة الوثيقة التي ربطت بين الإمام وعترة الرسول، من جهة النسب والجهاد معاً. إن البنية الخطابية في هذه العبارة لا تقتصر على ممارسة فعل تهديدي، بل تهدف إلى إنتاج هيمنة رمزية قائمة على استدعاء المواقف البطولية، والتقاطع الشرعي-العاطفي مع النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، مما يجعل ذكر "أبي الحسن" بمثابة إعلان ضمني عن المرجعية الدينية والسياسية التي لا يمكن تجاوزها في ضمير الأمة.

رسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية..... (293)

وفي قوله (عليه السلام) ((قدر الأمور تقدير من ينظر لنفسه دون جنده)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 2007، 2 / 201).

الخطاب يُفعل آلية التمثيل الذاتي من خلال استدعاء النفس ككيان معرفي-أخلاقي، تُقاس به شرعية السلطة ومآلاتها، ما يجعل من مراجعة الذات السياسية فعلاً تأويلياً يحدد موقع الفاعل بين العدل والظلم، ويمكن تحديد الآليات المعتمدة في النص كالآتي:

1 - تحول في البنية الدلالية من تمثيل الصراع إلى بناء النموذج الذهني الأخلاقي: (قدر الأمور تقدير من ينظر لنفسه).

يفتح الإمام علي خطابه ببنية توجيهية استبطانية: "قدر الأمور تقدير من ينظر لنفسه"، يُعيد فيها تموضع المخاطب من فاعل سياسي إلى مسؤول أخلاقي، تعتمد الصيغة على أداة الشرط التمثيلي لإنتاج معيار قيمي يقيس الفعل السياسي بمرايا الذات لا بمعايير الهيمنة، محققاً انزياحاً تداولياً يحول النزاع من المجال الخارجي إلى فضاء المحاسبة الداخلية.

في ضوء البنية الكبرى لفان دايك، يُحوّل الإمام علي الخطاب من صراع خارجي إلى مساءلة داخلية، حيث تُقدّم النفس كمرآة أخلاقية للحكم. تُبنى الشرعية على ضبط الذات، ويُصوّر معاوية كنموذج سياسي فاقد للبصيرة الأخلاقية.

في قوله (ع) ((فدع عنك من مالت به الرمية، فإننا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا لم يمنعنا قديم عزنا ولا عادي طولنا على قومك أن اخلطناكم بأنفسنا؛ فنكحنا وأنكحنا، فعل الأكفاء، ولستم هناك! وأنتى يكون ذلك كذلك ومنا النبي ومنكم المكذب ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف)) (النويري، شهاب الدين، 7 / 233).

الرسالة تمثل خطاب تمايز هوياتي جذري بين معسكرين متقابلين:

نحن (آل البيت) = أهل الرسالة والشرعية والنقاء العقائدي.

Journal of Arabic Language and Literature. No. 41 Dhu Al-Hijjah 1446 - Jun 2025	ISSN Print 2072-4756 ISSN Online 2664-4703	مجلة اللغة العربية وأدائها العدد: ٤١ ذو الحجة ١٤٤٦ - حزيران ٢٠٢٥
--	---	--

هم (بنو أمية أو خصوم الإمام) = أهل التكذيب، الجاهلية، والانحدار القيمي.
لتكون الغاية من الخطاب، تثبيت شرعية الذات ونفي شرعية الآخر من خلال المقارنة الرمزية الحاسمة بين الطرفين.

النص يستعمل ما يسميه فان دايك المربع الإيديولوجي ويُطلق فان دايك على هذا النمط من التمثيل الخطابي مصطلح "المربع الإيديولوجي"، الذي يقوم على مبدأ تفضيل الذات وتصويرها بصورة إيجابية، مقابل تقديم الآخر أو الخصم بصورة سلبية. وتُعدّ هذه الاستراتيجية من الأدوات المركزية في بناء الخطاب الإيديولوجي، إذ يمكن تفعيلها على مختلف مستويات التحليل: ابتداءً من البنى الكبرى من حيث اختيار الموضوعات التي تُظهر تفوق الذات، مروراً بالمستوى المعجمي من خلال انتقاء مفردات مشحونة دلاليّاً، وانتهاءً بالبنية النحوية (دايك، فان، 2014، 459-560).

وهو مبدأ يقوم على أربعة محاور:

- 1 - تأكيد ما هو إيجابي عن الذات (صنائع ربنا، منّا النبي، منّا خير النساء).
 - 2 - إنكار ما هو إيجابي عن الآخر (ولستم هناك).
 - 3- تأكيد ما هو سلبي عن الآخر (منكم المكذب، حمالة الحطب، صبية النار).
 - 4- إنكار ما هو سلبي عن الذات (إسلامنا قد سُمع، جاهليّتكم لا تُدفع).
- هكذا يُبنى خطاب يقوم على تعزيز الهوية الجماعية للذات وتقويض صورة الآخر بنيويّاً، فالبنية الخطابية الكبرى قائمة على إثبات الشرعية والهوية من خلال:
- 1 - إثبات المرجعية الدينية بقوله (منّا النبي) تأصيل ديني للشرعية.
 - 2- المرجعية الاجتماعية نكحنا وأنكحنا = تأكيد للمكانة والندية.
 - 3- المرجعية الرمزية استدعاء القرآن (حمالة الحطب)، التاريخ الإسلامي (بدر)، القيم العليا (الجنة والنار) لبناء تمايز لا يمكن تجاوزه.

يمثل النص بنية خطابية كبرى تهدف إلى شرعنة الذات (آل البيت) بوصفهم صناع الرسالة والحق، إلغاء شرعية الخصم تاريخياً ودينياً واجتماعياً، استدعاء الموروث الإسلامي والقرآني لبناء خطاب إقصائي يتجاوز السياسي إلى العقدي والرمزي.

ثانياً: البنى الجزئية (البنى الصغرى) (Micro Structure)

تمثل البنى الصغرى المستوى المحلي من تنظيم النص، وهي تُعنى بالوحدات اللغوية الدقيقة، كالجمل وتتابعاتها، والاختيارات المعجمية، والأساليب النحوية، مما يجعلها بمثابة الأساس الذي تُبنى عليه البنية الكبرى للخطاب (دايك، فان، 2001، 74).

وتبرز أهمية هذه البنى في كونها مسؤولة عن توليد موضوعات الخطاب؛ فكل جملة في النص يجب أن تُسهم - بشكل مباشر أو غير مباشر - في تكوين الموضوع العام، وأي جملة تخرج عن هذا السياق تهدد تماسك الخطاب وتُغيّر دلالاته الكبرى.

في قوله (عليه السلام) ((فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإن أحبّ الأمور إليّ فيك العافية، إلا أن تتعرض للبلاء، فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك)) (الدينوري، ابن قتيبة، 1/1990، 71). يمكن تحديد البنية المحلية من خلال الوحدات اللغوية الآتية:

1 - فعل الأمر (فادخل): يمثل فعل الأمر هنا أداة لغوية ذات وظيفة سلطوية، تصدر من موقع المتكلم بوصفه مركزاً شرعياً يمتلك مشروعية الأمر والنهي، فالفعل بصيغته المجردة (من غير شرط أو تلطيف) يُنتج معنى إلزامياً أخلاقياً، وليس مجرد دعوة أو اقتراح، هذا النمط من الأفعال الكلامية يمارس ضغطاً تداولياً، على المتلقي ليتطابق مع الجماعة المرجعية.

إن التمثيل المحلي للفعل "ادخل" يدل على أن الإمام (عليه السلام) يتحدث من موقع "المرجعية الجماعية" لا من موقع الند السياسي.

2- التركيب الشرطي: (فإن أحبّ الأمور إليّ فيك العافية).

هذه الجملة تنتمي إلى نمط الشرط المقترن بالتقدير العاطفي، حيث يتم التعبير عن التفضيل الشخصي للمتكلم (أحبّ الأمور)، والتركيب لا يُظهر العافية كقيمة مطلقة، بل كقيمة مشروطة بسلوك المتلقي أي لا يتم ضمانها إلا بالانضمام إلى الجماعة، تظهر بنية التهذئة الظاهرية إذ إن فالإمام لا يبدأ باتهام أو تهديد، بل بإعلان نية الخير، لكن على أساس الالتزام الجماعي.

هذه البنية الشرطية تُنتج فعلاً تداولياً مزدوجاً، ظاهره اللين، وباطنه الحزم المشروط بالطاعة.

3- التقابل المفهومي: (العافية/ البلاء).

يُستعمل هذا التقابل ضمن ما يسمى بـ الثنائيات القيمية التي تنتج حقلاً دلالياً أخلاقياً يُحدد تموقع الفاعلين في الخطاب. العافية تحيل إلى السلامة النفسية والاجتماعية والسياسية والدينية، بينما البلاء يُرمز به إلى الفتنة والانقسام، وربما العقاب الإلهي أو الهزيمة هذا البناء يمثل ما يسميه فان دايك بـ التموقع الأخلاقي، حيث يتم إقصاء الخصم رمزياً إن لم يخضع للمنطق الجماعي، هذه الثنائية تؤدي وظيفة هيمنة رمزية، إذ تجعل خيار الانضمام لا أخلاقياً فقط، بل وجودياً.

فالمعنى المحلي الكامن في النص يمكن تحديده من الرسالة إذ تقدم الطاعة على أنها ليست خياراً سياسياً، بل قدراً أخلاقياً واجتماعياً لا بد منه، والخروج عليه ليس مجرد عصيان سياسي، بل انحراف عن بنية الأمة ومبدأ العافية الدينية.

قوله (ع) ((وما أمرت بقتل عثمان، فلزمتني خطيئة الأمر، ولا قتلت، فأخاف على نفسي قصاص القاتل)) (المبرد، أبو العباس، 1993، 1/ 155).

1 - سلسلة النفي المركبة: (ما أمرت)، (ولا قتلت).

استعمل الإمام (ع) استراتيجية دفاعية عبر النفي المتسلسل، وهو نمط لغوي يستعمل لتفكيك سردية الخصم وإبطال أثرها النفسي والاجتماعي، فقوله "ما أمرت" تُكرر التخطيط، وقوله "ولا قتلت" تُكرر الفعل المباشر.

هذا التدرج يُعيد تشكيل سلسلة السببية الأخلاقية والسياسية الموجهة ضد الإمام، وينقلها إلى إطار تداولي جديد يقوم على البراءة المبدئية لا التبرير الظرفي.

يُفكك الإمام هنا النموذج الذهني المسبق (المبني في خطاب معاوية وأتباعه) حول التورط، ويستبدله بنموذج جديد يقوم على التحقيق الذاتي والعدالة التقريرية.

2- الربط السببي (الاعتراضي): (فلزمتني خطيئة الأمر/ فأخاف).

هذه العبارة تمثل بنية استفهامية ضمنية؛ إذ تنتج سؤالاً غير منطوق (إذا لم أمر، فلماذا أُتهم) و (إذا لم أقتل فلم أخاف).

3- مفردة (خطيئة).

هذه المفردة تُفعل الحقول المعجمية القانونية-الدينية بهدف تحويل النص إلى وثيقة عدلية رمزية، فمفردة "خطيئة" تستعمل للدفاع، بل للكشف عن الظلم الذي تعرض له الإمام.

فالتكوين التداولي هنا يحيل إلى تناقض إدراكي في الرواية الأخرى، مما يعزز مركزية خطاب الإمام بوصفه أكثر انسجاماً ومنطقياً، إن كلمة "خطيئة" ذات حمولة دينية-أخلاقية، تُوظف بذكاء في الحقل السياسي، لتفكيك شرعية الاتهام عبر لغة الخصم نفسها.

ويظهر المعنى المحلي الكامن في النص إذ يُنتج الخطاب نموذجاً معرفياً بديلاً يقوم على العقلانية والعدالة، ويُستبدل فيه دور الإمام من متهم ضمن خطاب الفتنة، إلى فاعل واعٍ يفكك زيف الخطاب الأموي.

في قوله (ع) ((فأنا أبو حسن، قاتل جدك وأخيك وخالك شدخا يوم بدر، ذلك السيف معي، وبهذا القلب ألقى عدوي - ما استبدلت ديننا، ولا استحدثت نبيا - واني على المنهاج الذي تركتموه طائعين)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 2007، 15 / 79).

1 - ضمير الهوية الذاتية: (أنا أبو الحسن).

افتتاح العبارة بـ"أنا أبو الحسن" يمثل توكيداً تداولياً للهوية، حيث يُفعل الإمام الضمير الذاتي + الكنية الرمزية لاستحضار شرعية نسبية وجهادية. الكنية تُعيد إنتاج الذات بوصفها سلطة خطابية مشروعة تنتمي إلى بيت النبوة وسياق القتال في سبيل الحق.

2- السرد القتالي الرمزي: (قاتل جدك وأخيك وخالك).

هذا السرد يُبنى بصيغة الترقيم التصاعدي الزمني-القرابي جد - أخ - خال، مما يعزز تصاعد التهديد الرمزي، الأفعال في هذا السياق ليست إقراراً بالقتل العدائي، بل إحياء لسجل جهادي - شرعي ضد "خصوم النبوة" عبر التاريخ. وقد استعمل (عليه السلام) أفعال ماضية تدل على الحسم والإنجاز التاريخي، موظفاً بعداً تصويرياً عنيفاً يعزز صورة القوة والانتصار باستعمال المفردة (شدخا)، بإحالة زمنية مفتاحية تستدعي ذاكرة الجماعة لهزيمة قريش في قوله (يوم بدر)

3- خطاب المواجهة بضمير المخاطب: (الكاف).

استعمال خطاب مباشر ("جدك"، "أخيك"، "خالك") يمثل مواجهة مفتوحة تُغلق الباب أمام التأويل السلمي أو الوساطة، والضمير هنا يُستعمل في

رسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية (299)

إطار ما يسميه فان دايك ب التموقع الإيديولوجي للآخر، إذ يُحشر معاوية في سلسلة نسبية- اجتماعية مرتبطة تاريخياً بالباطل أو الجاهلية فالضمير هنا ليس فقط توأماً، بل تقييد تداولي يُجبر المتلقي على تلقي النص من موقع العجز لا الندي، باستعمال اللوم الضمني المفترض لتذكير معاوية بخطاياها وأفعاله.

4- الإحالة الى أدوات القوة والثبات: (ذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي).

تشير المفردة "ذلك" إلى رمز معروف يرسخ الثبات، ويمثل السيف القوة المادية، والقلب الشجاعة الإيمانية، بينما يدل المضارع "ألقى" على الاستمرارية والاستعداد الدائم للمواجهة.

5- النفي القاطع: (ما استبدلت ديننا، ولا استحدثت نبيا).

استعمال نفي مزدوج يُظهر البراءة من البدعة و الانحراف، النفي هنا يبنى على قيم دينية كبرى: الدين والنبوة، وهي ركائز الشرعية.

6- الإحالة إلى انحراف الطرف الآخر: (المنهاج الذي تركتموه طائعين).

استعمال "تركتموه طائعين" فيه إدانة خفية لمعاوية بأنه كان ضمن من خضع للدين ثم انحرف عنه، هذا التضمين يزرع شكاً في التزام الخصم ويسقط شرعيته تدريجياً.

في قوله (عليه السلام) ((وقلت إنني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أباع؛ ولعمر الله! لقد أردت أن تدمم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت! وما على المسلم من غضاضة، في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه، ولا مرتاباً بيقينه، وهذه حجتي إلى غيرك قصدها، ولكنني أطلقت لك منها بقدر ما سنع من ذكرها)) (الرضي، الشريف، 2010، 2 / 21).

يُتضح الاشتغال الدقيق على البنية المحلية في قول الإمام علي (ع)، إذ يوظف الإمام مجموعة من التقنيات الأسلوبية الدقيقة التي تدخل ضمن التحليل المحلي للخطاب، كما حددها فان دايك.

1- الاستعارة الوصفية (الجمل المخشوش) تفعل إحالة تصويرية تُظهر فظاعة المشهد، وتُقدم تمثيلاً إدراكياً للقهر والإكراه، مما يُسهم في بناء موقف أخلاقي لصالح المتكلم. ثم تتصاعد المفارقة في العبارة: "أردت أن تدمّ فمدحت، وأن تفضح فافتضحت"، وهي تقنية بلاغية حجاجية تُوظف لإسقاط صورة الخصم بطريقة غير مباشرة، عبر تفكيك منطقته من داخله، في ما يسميه فان دايك أفعال الكلام المُفارق ضمن بنى التقييم السلبي.

2- استعمال مكثف للضمائر (قلت، أردت، افتضحت،...)، مما يعزز التوجه المباشر المواجهي الذي يتسق مع الأفعال المهددة لوجه الخصم وهي من العناصر المركزية في البنية المحلية عند فان دايك.

ويبلغ النص ذروته التداولية في قول الإمام (عليه السلام) (هذه حجتي إلى غيرك قصدها، ولكنني أطلقت لك منها بقدر ما سنع من ذكرها)، إذ يمارس المتكلم سلطة رمزية قائمة على ضبط حدود المعرفة، وانتقاء ما يُقال وما يُكتم، مما يخلق تدرجاً تداولياً في كشف الحجة، ويمنح الإمام مكانة المتكلم العارف الذي يوجه الخطاب من موقع السيطرة المعنوية.

وهكذا، يظهر من خلال هذا النص مثال واضح على تفعيل البنية المحلية بوصفها أداة استراتيجية في إنتاج المعنى، وتوجيه التمثيلات، وتكثيف المواجهة الرمزية في سياق الصراع على الشرعية.

ثانياً: العنصر الإدراكي:

ترتكز مقارنة فان دايك في التحليل النقدي للخطاب على مثلث مفاهيمي يتكوّن من: الخطاب، والإدراك، والمجتمع، ويقع الإدراك في مركز هذا المثلث بوصفه الوسيط الديناميكي الذي يربط بين البنية اللغوية والخطاب من جهة، والبنية الاجتماعية والسياقات المجتمعية من جهة أخرى. وقد بنى فان دايك هذا

رسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية..... (301)

العنصر على مجموعة تمثل الركائز الإدراكية لتحليل الخطاب (بكار، سعيد، 2021، 467)، نذكر منها:

أولاً: النماذج الذهنية:

وهي البنى المعرفية التي تتشكّل في ذهن الفرد نتيجة التفاعل مع العالم والخطابات، وتُستعمل لتفسير الوقائع وتنظيم المعلومات (دايك، فان، 2014، 334).

النماذج الذهنية في الخطاب تُبنى على "تمثيلات معرفية" تسكن ذهن المتكلم وتُبنى من خلال تجاربه الاجتماعية وتوجّه نحو التأثير على المتلقي. وقد صاغ الإمام علي عليه السلام نماذجها الذهنية من خلال تمثيلات قوية وهويات مزدوجة: هوية الذات، وهوية الآخر (الخصم).

النموذج الذهني الذي يبنيه الإمام علي في رسائله إلى معاوية يقوم على:

1 - النموذج الذهني حول الذات.

النماذج الذهنية الذاتية، هي تمثيلات معرفية ذات طابع شخصي، تنطوي على الزمان والمكان، والفاعلين، والأفعال، والأهداف، والعلاقات بين المشاركين. (بكار، سعيد، 2021، 467).

يبنى الإمام علي (عليه السلام) في رسائله نموذجاً ذهنياً لذاته يركز على عدة عناصر:

1. الشرعية الدينية والتاريخية:

في رسالته إلى معاوية، يقول الإمام (عليه السلام) ((إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 2007، 3/ 300) هنا، يؤكد الإمام على شرعيته المستمدة من نفس المصدر الذي استمد منه

Journal of Arabic Language and Literature. No. 41 Dhu Al-Hijjah 1446 - Jun 2025	ISSN Print 2072-4756 ISSN Online 2664-4703	مجلة اللغة العربية وأدائها العدد: ٤١ ذو الحجة ١٤٤٦ - حزيران ٢٠٢٥
--	---	--

الخلفاء السابقون شرعيتهم، وهو بيعة المهاجرين والأنصار، مما يعزز نموذج الذات كخليفة شرعي.

ب. السبق في الإسلام والجهاد:

يقول الإمام (عليه السلام) في إحدى رسائله ((أنا أبو الحسن، قاتل جدك وأخيك وخالك)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 15 / 79)، يبرز الإمام هنا سابقة في الجهاد والقتال في سبيل الله، مما يعزز مكانته كأحد أعمدة الإسلام الأوائل هذا تمثيل رمزي للقوة والسبق في الإسلام، حيث يُعيد الإمام بناء صورة ذاتية تتجسد فيها الشجاعة والتفوق الأخلاقي والعسكري، يستند على الإمام الذاكرة القتالية/الجهادية لتثبيت مركزية موقعه من الرسالة.

ج- الطهارة العقديّة واليقين المعرفي:

يقول الإمام علي (عليه السلام) ((واني لعلى بينة من ربي، ومنهاج من نببي، واني لعلى الطريق الواضح ألقطها)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 7 / 71)، يعكس هذا النص نموذجاً ذهنياً إيمانياً صلباً، يقدم فيه الإمام نفسه بوصفه مستمراً في خط النبوة، ليس فقط من حيث النسب، بل من حيث المنهجية والرؤية، فقله (عليه السلام) ألقطها لقطاً توكيد على وضوح الرؤية والتميز بين الحق والباطل دون لبس.

وقوله (ما استبدلت ديناً، ولا استحدثت نبياً) تُنتج تمثيلاً ذهنياً يُجسد الثبات العقائدي والولاء الرسالي، حيث ينفي الإمام أي انحراف عن الأصل النبوي، مؤكداً استمراريته على نفس المنهج، ما يعزز في ذهن المتلقي صورة الوفاء المطلق للدين والرسالة دون تلون.

د- التفوق المعرفي والسيطرة على إدارة الحجّة:

العبارة ((حُجَّتِي إلى غيرك قصدها)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 2 / 21)، تمثل بناءً ذهنياً يُظهر الإمام في موقع التفوق المعرفي، حيث يمتلك الحجّة ويوجهها كما

رسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية..... (303)

يشاء، ما يعكس سيطرته على الخطاب وتحديد مستوى المشاركة فيه، ويرسّخ في ذهن المتلقي صورة المتكلم العارف الذي لا يُنازع في سلطته الحجاجية.

2- النموذج الذهني حول الآخر معاوية:

يُصوّر الإمام علي عليه السلام معاوية في رسائله بنموذج ذهني سلبي، إذ ((يقع هذا التمثيل الذاتي أو المخطط الذاتي في الذاكرة العميقة الشخصية إنه تجريدي مبني تدريجياً من التجارب الشخصية النماذج للأحداث)) (دايك، فان، 2025، 171) يركز على:

أ- التمرد على الشرعية

في إحدى رسائله، يقول الإمام (عليه السلام) ((فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإن أحب الأمور إليّ فيك العافية، إلا أن تتعرض للبلاء)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 2007، 3/300).

هنا، يُظهر الإمام معاوية كمنشق عن الجماعة الإسلامية، مما يضعه في نموذج التمرد على الشرعية.

ب- تمثيل التبعية للهوى وفقدان الاستقلال العقلي.

في قوله (عليه السلام) ((أتاني كتاب امرء ليس له نظر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده فاتبعه)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 1/202)، فالتمثيل الذهني يُصوّر معاوية كمن تحكمه أهواؤه، لا عقله، فاقد القدرة على التمييز، مما يفقده أهلية القيادة. فالإمام (عليه السلام) يركّز على ضعف البنية الإدراكية للخصم، فمعاوية ليس فاعلاً حراً بل منقاداً لرغباته، مما يُشكك بقراراته وشرعية مواقفه.

ج- تمثيل العداة الأخلاقي الممتد:

في قوله (عليه السلام) ((فظالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 16/135).

Journal of Arabic Language and Literature. No. 41 Dhu Al-Hijjah 1446 - Jun 2025	ISSN Print 2072 -4756 ISSN Online 2664-4703	مجلة اللغة العربية وأدائها العدد: ٤١ ذو الحجة ١٤٤٦ - حزيران ٢٠٢٥
--	--	--

إذ يُربط معاوية في النموذج الإدراكي العام بقوى الشر التاريخية (أولياء الشيطان)، ما يلغي أهليته الأخلاقية. فالإمام (عليه السلام) يُحمّل معاوية إرثاً عدائياً ممتداً ضد الحق، فهو ليس فرداً شاذاً بل حلقة في سلسلة شيطانية مناوئة للرسالة.

د- تمثيل السفاهة السياسية والطمع في غير موضعه:

في قوله (عليه السلام) ((يا بن حرب، إن لجاجك في منازعة الامرأهله من سفاه الرأي، فلا يطمعك أهل الضلال، ولا يوبقنك سفه رأي الجهال) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 85 / 15)، فالتمثيل الذهني يُصور معاوية كصاحب طموح سياسي أحرق، ينازع من لا حق له في منازعتهم. والإمام (عليه السلام) يبرز أن السلطة والقيادة من حق أهلها، ومعاوية يُصرّ على منازعتها رغم علمه ببعده عن شروطها، ما يُظهر الجهل السياسي والتورط في الباطل.

هـ- تمثيل الزعامة التضليلية ومعاداة الوعي الجماعي:

في قوله (عليه السلام) ((وأرديت جيلا من الناس كثيرا، خدعتهم بغيك، وألقيتهم في موج، بحرك تغشاهم الظلمات، وتتلطم بهم الشبهات)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 132 / 16)، فالتمثيل الذهني يمثّل معاوية كقائد مضلّ أسقط أجيالاً كاملة في الفتنة والضلال. يُبرز الإمام مسؤولية معاوية في تشويه الوعي الديني والسياسي للناس، من خلال الخطاب التحريضي والمكر السياسي، ما يجعله مسؤولاً عن انحراف جماعي.

ثانيا: الذاكرة الإيديولوجية:

يُقسم فان دايك الذاكرة على نوعين: (بكار، سعيد، 2021، 467).

1. الذاكرة قصيرة المدى: وتُعرف أيضاً بـ "الذاكرة العاملة"، وهي المعنية بمعالجة المعلومات الفورية أثناء التفكير وفهم الخطاب في لحظته الآنية.
2. الذاكرة طويلة المدى: أو "الذاكرة الدائمة"، وهي التي تحتفظ بالمعلومات التي خضعت للمعالجة، وتُقسم بدورها إلى:

ا. الذاكرة الدلالية الاجتماعية: وهي ذاكرة جماعية يشترك فيها أفراد المجتمع، وتضم معارف مشتركة كإجادة اللغة، ومعرفة العالم المحيط، وتشكل ما يُعرف بـ"الذاكرة الثقافية".

ب. الذاكرة العرضية: وهي ذات طابع شخصي، تتضمن التجارب الفردية المحفوظة زمنًا ومكانًا، وتشكّل تمثيلات مفصلة للأحداث كما عاشها الفرد.

يقوم الإمام علي باستدعاء الذاكرة الجماعية الإسلامية من خلال إحالة رسائله إلى أحداث وتواريخ تأسيسية تحمل وظيفة توجيهية، منها:

1 - وجوب الانضمام لإجماع المهاجرين والأنصار: إن الرسائل تُعيد تثبيت الذاكرة السياسية التي تربط الشورى بالشرعية، في قوله (عليه السلام) ((إنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً، كان ذلك لله رضا)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 2007، 3/ 300).

هذه الجملة تُعيد إنتاج قالب ذهني جمعي يربط الشرعية السياسية بالانتماء الأول (المهاجرون والأنصار)، وتُخرج معاوية من دائرة القرار السياسي، إذ يُعيد الإمام بناء ذاكرة سياسية جامعة تقوم على أولويات الجماعة الإسلامية الأولى، أي المهاجرين والأنصار. يُقضي معاوية بطريقة غير مباشرة من هذه الجماعة، لأنه ليس من المهاجرين ولا من الأنصار، وبالتالي لا يملك حق المعارضة. كما أن قوله "فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد" يُلغي كل إمكانية لمراجعة قرار البيعة، ما يُشكّل نوعاً من التحصين الإيديولوجي للشرعية، ليؤكد النص وظيفته الإيديولوجية ليرسخ البيعة كعقد اجتماعي لا ينقض، وتحويل الخصم إلى معتد على الإجماع الإسلامي، ونزع الغطاء الشرعي عن تمرده بتحويله إلى خروج على قاعدة أساسية في النظام السياسي النبوي.

2- سيرة النبي والمعية النبوية: الذاكرة الإيديولوجية تُفعل من خلال ربط الإمام بسيرة النبي مباشرة، "وإني لعلى منهاج نبوي"، وهي ذاكرة هادفة للتثبيت العقيدي، إذ تشير إلى وراثة المنهج الديني النبوي لتشكل بنية لتذكير جمهور

الرسالة بصلته العضوية بالرسول من جهة النسب، والموقف، والعقيدة لتؤسس لذاكرة تصبغ معارضته معارضة لله والرسول، كما يُستدعى الماضي الجهادي للإمام لتمثل الشرعية العليا في مجتمع صدر الإسلام إذ لم يكن المقصود التفاخر في القتل بل تثبيت الدور الحاسم في انتصارات الإسلام الأولى في قوله (أنا أبو الحسن قاتل جدك وأخيك وخالك) يشكل التوظيف الرمزي للعلاقات القبلية (كالجدة، الخال، الأخ...) أداة استراتيجية في خطاب الإمام علي لمعاوية، إذ يُعاد من خلالها تأطير العلاقة التاريخية على أنها صراع هوياتي بين صانع النصر الإسلامي متمثلاً بالإمام، وخصوم الإسلام التقليديين (بنو أمية)، حيث يتحول النسب إلى مشروع سياسي، وتتحول الرموز القبلية إلى مؤشرات على الشرعية أو الخيانة. ويقول ((أما بعد، فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الرجيم للحق أساطير الأولين، ونبذتموه وراء ظهوركم وجهدتم بإطفاء نور الله بأيديكم وأفواهمكم، والله متم نوره ولو كره الكافرون)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 16/135)، لا تُستدعى هذه العبارة كمجرد وصف تاريخي، بل كأداة خطابية لإعادة تأطير الحاضر عبر الماضي، عبر استدعاء انتقائي لذاكرة العدا للسلام ربط معاوية بسلسلة نسبية/تاريخية من العدا، من خلال تفعيل الذاكرة الجماعية، فالإمام يُحيل معاوية إلى جذوره الأموية، مستحضراً صورة قريش المكذبة، ومفعلاً ذاكرة المسلمين تجاه العدا الرسالي وتفعيل الذاكرة الإيديولوجية فعبارتها "أعداء الرسول" و"مكذبون بالكتاب" تحملان حكماً أخلاقياً-عقدياً قاطعاً، ينزع الشرعية الدينية عن معاوية، وكذلك الإحالة الزمنية فاستعمال "في ذلك الزمان" يربط معاوية بزمن التأسيس النبوي، حيث يُعاد تعريف الخلاف الحالي كامتداد للصراع بين الإيمان والنفاق.

3- قصة مقتل عثمان: لا يُستحضر كحدث عاطفي، بل كأداة لفضح النفاق السياسي ((ولعمري يا معاوية، لئن نظرت بعقلك دون هواك، لتجدني أبراً الناس من دم عثمان، ولتعلمن أني كنت في عزله عنه، إلا أن تتجنني، فتجن ما بدا لك! والسلام)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 14/35)، تُستدعى الحادثة لا للتبرير، بل لإبطال الرواية الأموية، وتوجيه الجماهير لإعادة فهمها ضمن سياق الانقلاب السياسي لا المظلومية.

4- الذاكرة المؤسسة للتمايز الأخلاقي: استدعاء حصار الشعب كأداة رمزية في قوله (عليه السلام) ((وأوقدوا لنا نار الحرب وكتبوا بينهم كتابا لا يواكلونا ولا يشاربوننا، ولا يناكحوننا، ولا يبائعوننا، ولا نأمن فيهم حتى ندفع النبي فيقتلوه ويمثلوا به)) (المحمودي، محمد باقر، 1966، 4 / 177)، فالإمام يعيد تفعيل ذاكرة المسلمين عن الحصار الاقتصادي والاجتماعي في الشعب، بوصفه عدواناً جماعياً مورس بحق النبي وأهله، هذا لا يوثق فقط مظلومية تاريخية، بل يؤسس ل تمايز أخلاقي بين بني هاشم والمعتدين (قريش الطاغية).

5- إعادة تأريخ العلاقة مع المشركين والمنافقين في قوله (عليه السلام) ((فلم تكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى موسم)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 4 / 177)، هذه العبارة تبني إحساساً بالاختناق والخوف الذي عايشته الجماعة المؤمنة، مقابل ترف الآخرين، والذاكرة هنا ليست سرداً، بل أداة إدانة رمزية لمن كانوا خصوماً ثم أصبحوا طلاب حكم (كمعاوية).

6- ترسيخ الشرعية القتالية - النسب البطولي، في قوله تعالى ((فكان إذا احمر البأس، أقام أهل بيته فاستقدموا)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 4 / 177)، يُظهر الإمام أن أهل البيت هم درع النبي في المواجهات الكبرى، لا الطلقاء ولا المتأخرين فيستدعي أسماء حمزة، جعفر، زيد، عبدة، لتأسيس ذاكرة إيديولوجية تربط الشرعية ب"الدم الرسالي"، لا بالنسب القرشي الفارغ.

7- التفريق بين "إسلام القناعة" و"إسلام المصلحة" بقوله (عليه السلام) ((فأما من أسلم من قريش بعد)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 4 / 177)، النص يفرق بين من أسلم تحت السيف أو احتفى بعشيرته، ومن دخل الإسلام في لحظة الخطر والتضحية.

هذا التفريق يعيد تشكيل الذاكرة الإيديولوجية للجمهور حول من يستحق القيادة فعلاً.

ثالثاً: العنصر الاجتماعي

يتمثل البُعد الاجتماعي في نموذج فان دايك في البنى والمؤسسات التي تملك سلطة التأثير في الخطاب العام، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. وتشمل هذه الجهات: النخب السياسية، ووسائل الإعلام الجماهيرية، ومؤسسات التعليم، ومراكز الثقافة، والقطاع الاقتصادي. وتؤدي هذه الفواعل الاجتماعية دوراً مركزياً في إنتاج الخطاب وتنظيمه وتوجيهه.

من جهة أخرى، فإن العلاقة بين العنصر الاجتماعي والعنصر الخطابي تتجلى في أن الخطاب ذاته يُعد نتاجاً لتنظيم داخلي تحكمه العلاقات بين التنظيمات الاجتماعية، ويُعيد إنتاج هذه العلاقات عبر ممارساته اللغوية والرمزية. فالخطاب لا يعكس البنية الاجتماعية فحسب، بل يُسهم أيضاً في تكريسها أو نقدها (محمد، علي محمود، غضبان، حيدر، 2022، 645).

وتُعد ثنائية "نحن" مقابل "هم" إحدى الأدوات المركزية في بناء التمثيلات الإيديولوجية، إذ تُستدعى هذه الثنائية لتأكيد الانتماء الداخلي للمجموعة (نحن)، وتحديد الآخر المختلف أو المعارض (هم)، بما يحمله كل من الطرفين من إحالات إيجابية أو سلبية تُسهم في تعزيز التضامن أو تغذية النزاعات (دايك، فان، 2014، 37).

أولاً: تمثيل الفاعلين الاجتماعيين:

يمثل اختيار التوصيفات والضمائر والنوع المرتبطة بالشخصيات في الخطاب أحد أهم الأدوات التي يستخدمها المتكلم في بناء علاقات القوة والهيمنة الرمزية. وفي رسائل الإمام علي، نلاحظ بناءً طبقياً وأخلاقياً واضحاً بين الفاعلين: الإمام علي بوصفه الوريث الشرعي، ومعاوية بوصفه الدخيل الطليق.

أ. الإمام علي (عليه السلام) فاعلا اجتماعيا إيجابيا:

الإمام علي يقدم نفسه بصفته:

Journal of Arabic Language and Literature. No. 41 Dhu Al-Hijjah 1446 - Jun 2025	ISSN Print 2072 -4756 ISSN Online 2664-4703	مجلة اللغة العربية وأدائها العدد: ٤١ ذو الحجة ١٤٤٦ - حزيران ٢٠٢٥
--	--	--

1- أمير المؤمنين: وهي صفة سياسية-دينية ترسخ السلطة والخلافة الشرعية، بقوله ((من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان)) (المحمودي، محمد باقر، 1966، 4 / 177).

2- المهاجر الأولي والمجاهد السابق: في قوله ((ان الله بعث رسوله منا، فآمنا به وكفرتم)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 2007، 2 / 201)، إذ يؤسس تمايزاً تاريخياً على أساس التضحية والمشاركة في بناء الإسلام.

3- المظلوم الصابر: في قوله (عليه السلام) ((فإن الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة مني ويابعونني عن مشورة منهم واجتماع)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 1 / 77)، وهي صورة تُكسبه بعداً أخلاقياً، يميزه عن خصمه الذي يطلب الدنيا.

4- صاحب العصمة المعرفية: في قوله (عليه السلام) ((إني على بينة من ربي ومنهاج نبيي واني لعلى الطريق الواضح القطه لقطا)) (الرضي، الشريف، 2010، 1 / 189)، إشارة إلى المعرفة النبوية والتسديد الإلهي.

إن هذه التمثيلات لا تؤسس للهيمنة فقط، بل تخلق نماذج ذهنية لجمهور الخطاب، تجعله يتماهى مع الإمام ضد خصمه. ويمارس الإمام علي (ع) عبر هذه التوصيفات ما يسميه فان دايك "إعادة بناء تمثيل الذات في الخطاب"، من خلال التحكم في نوع الفاعل (سياسي، أخلاقي، معرفي)، موقعه (مركز الهيمنة)، صورته في ذهن المتلقي (النموذج الإدراكي الموجه)، ((وتحتوي عملية الإدراك على التفكير، والمعرفة، والمعتقدات والفهم، والتفسير، واستخدام اللغة... إلخ، تحدث هذه العمليات كلها في ذاكرة الفاعل الاجتماعي لمجموعة معينة في المجتمع، ونتيجة القيام بعمليات الإدراك المذكورة، إما أن نقوم بتشكيل البنية الإدراكية/ تمثيلاتنا العقلية، أو تغييرها، أو تخزينها، أو تعطيلها، نحو: تغير أفكارنا، أو معارفنا، أو معتقداتنا، أو تصرفاتنا، أو أيديولوجياتنا. ومن ثم التأثير والسيطرة على تصرفاتنا البشرية ليتجاوز ذلك السيطرة على اللغة المستخدمة في خطاباتنا)) (محمد، علي محمود، غضبان، حيدر، 2022، 645).

وتسهم هذه التمثيلات في خلق تفاوت هرمي حاد بينه وبين معاوية الذي يُصوّر بوصفه "الطليق، المضلل، التابع لهواه"، أي فاعل اجتماعي فاقد للشرعية والمبادرة.

ب. معاوية بن أبي سفيان فاعلا اجتماعي سلبيا:

الخطاب العلوي يُعيد إنتاج صورة معاوية ضمن تمثيلات كبرى:

1 - الطليق وابن الطليق في قوله (عليه السلام) ((وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتميز بين المهاجرين الأولين)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 2007، 15 / 191)، هذه العبارة تُمارس فعلاً خطابياً من نمط نزع الشرعية، بإحالة معاوية إلى خانة من أسلموا متأخرين وتحت الضغط العسكري، وبالتالي فهو غير مؤهل للقيادة.

2 - المنكوص عن الجماعة في قوله تعالى ((فادخل فيما دخل فيه المسلمون)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 75 / 3).

يُصوّر معاوية كشخص معزول عن "الجماعة"، وهذا العزل يعيد إنتاجه كمخالف للهوية الجماعية.

وبذلك، يُبنى معاوية في النص كفاعل اجتماعي مؤطر ضمن ثلاث طبقات من الإقصاء (تاريخي، جماعي، أخلاقي)، مما يجعل مشروعه في مواجهة الإمام ساقطاً من أساسه في الوعي الخطابي والمعرفي.

ثانياً: الأفعال الخطابية:

تتضمن رسائل الإمام علي عليه السلام أنماطاً مختلفة من الأفعال الكلامية التي تُبنى وفق نية المتكلم وتأثيره في المتلقي، وهي تشمل:

1. إنكار البراءة من دم عثمان في قوله (عليه السلام) ((لَتَجِدَنِي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عَثْمَانَ)) (الدينوري، ابن قتيبة، 1990، 1/71)، هذا الفعل يُمارس ضمن إطار دلالي يهدف إلى إبطال المشروع الأخلاقية للثأر السياسي الذي يتدّرع به معاوية. وهو فعل لغوي يقطع سياق الاتهام، ويعيد صياغة الوقائع في إطار دفاعي/تبريري.

2. الأمر بالدخول في الجماعة في قوله (عليه السلام) ((فادخل فيما دخل فيه المسلمون) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 2007، 75 / 3)، فعل الأمر هنا ليس مجرد صيغة لغوية، بل ممارسة سلطوية تستبطن التهديد والتجريد الرمزي من الدين، حيث إن الخارج عن الجماعة يُقرن بالفتنة والبلاء.

3. التوبيخ المعنوي في قوله ((عليه السلام)) ((فإنك مُتَرْفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا أَخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالْدَمِّ)) (المعتزلي، ابن أبي الحديد، 79 / 15). هذا الفعل يتجاوز التوبيخ العادي ليشكل إدانة أنطولوجية بنية الشخصية تربط الفعل السياسي لمعاوية بفساد جذري في النفس والدافع، مما يعيد إنتاجه كعنصر مفسد في النظام الإسلامي.

يتضح من خلال تحليل الفاعلين والأفعال الخطابية، أن الإمام علي (عليه السلام) يمارس إعادة تشكيل رمزية للبنية الاجتماعية والسياسية من خلال:

- تفعيل أدوار أخلاقية وتاريخية في الخطاب لإضفاء شرعية ذاتية.
- تقويض شرعية الخصم بنزع تمثله للجماعة الدينية والسياسية.
- توجيه المتلقي إلى تصنيف معياري للصراع، حيث يتموضع الحق ضمن خطاب الإمام، والباطل ضمن خطاب معاوية.

الخاتمة:

لقد أظهرت هذه الدراسة أن رسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية تمثل نماذج خطابية عالية الكثافة الإيديولوجية والمعرفية، وتعكس وعياً لغوياً وسياسياً متقدماً في إدارة الصراع وإعادة إنتاج مفاهيم الشرعية والهوية والسلطة. ومن خلال تطبيق المقاربة الإدراكية-الاجتماعية لفان دايك، تبين أن هذه الرسائل لا تؤدي فقط وظيفة بلاغية أو وعظية، بل تمثل أدوات حجاجية

تُبنى على تمثيلات ذهنية واعية، وتُفعل الذاكرة الإيديولوجية، وتُعيد تشكيل البنى الاجتماعية والرمزية داخل الخطاب السياسي الإسلامي المبكر.

النتائج:

1. استثمار البنية الخطابية الكبرى في رسائل الإمام لبناء شرعية مستندة إلى الشورى والبيعة والذاكرة الجهادية، مما يفكك شرعية معاوية بوصفه خارجاً عن الإجماع.
2. توظيف النموذج الذهني في تمثيل الذات (الإمام علي) بوصفه: صاحب الحق، والورث الشرعي، والمجاهد الأول، في مقابل تمثيل معاوية كمنكوس عن الجماعة، تابع لهواه، ومُضلل سياسياً.
3. تفعيل الذاكرة الإيديولوجية من خلال استدعاء الأحداث التأسيسية (الشورى، بدر، الحصار، معية النبي)، لإعادة تأطير الصراع الحالي في ضوء ماضٍ ديني-رسالي، يُقصي الخصم.
4. الاستناد إلى البنية المحلية (الميكروية) في استعمال الضمائر، أفعال الأمر والنفي، التقابل القيمي، والتكرار البلاغي، مما يعزز التوجيه الإدراكي للخطاب نحو التأثير والهيمنة الرمزية.
5. إعادة تشكيل الفاعلين الاجتماعيين عبر ثنائية "نحن/هم"، حيث يُقدم الإمام نفسه ممثلاً للأمة والرسالة، ويُقصي معاوية من كل دوائر الشرعية السياسية والدينية والاجتماعية².
6. إبراز الصراع بوصفه صراعاً رمزياً وجودياً بين مشروع الحق النبوي، ومشروع الباطل الأموي، لا مجرد خلاف سياسي مرحلي.

المصادر والمراجع

- بايكر، بول، ايلينج، سيبونيل، 2018، المصطلحات المفاتيح: في تحليل الخطاب، ترجمة ناصر عبد الله، دار جامعة الملك سعود.
- بكار، سعيد، 2021، التحليل النقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، مجلة الخطاب، المجلد 16، العدد 2.
- دايك، فان، 2001، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتب.
- دايك، فان، 2014، الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- دايك، فان، 2025، الأيديولوجيا الخطاب- الإدراك- المجتمع دراسة الأيديولوجيا من منظور متعدد التخصصات، ترجمة د. باسم جبير، دار المرهج للنشر والتوزيع، دار مجلة الاكاديمية للنشر والتأليف.
- الدينوري، ابن قتيبة، 1990، الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان.
- الرضي، الشريف، 2010، نهج البلاغة، تحقيق الشيخ قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات.
- الزليطني، محمد لطفي، 2014، من تحليل الخطاب الى التحليل النقدي للخطاب، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب الجزائر، العدد 17.
- صالح، حسام الدين عبد القادر، 2023، تضافر المقاربات في الدراسات النقدية للخطاب: فان دايك وفيركلف نموذجا، مجلة إضافات.
- عبد اللطيف، عماد، 2009، من الوعي الى الفعل مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي، مجلة ثقافات.

- عبد اللطيف، عماد، 2019، التحليل النقدي للخطاب عربيًا: إطلالة موجزة، في كتاب جماعي التحليل النقدي للخطاب: مفاهيم ومجالات وتطبيقات، برلين، المركز الديمقراطي العربي.
- عبيدي، منية، 2018، التحليل النقدي للخطاب، نماذج من الخطاب الإعلامي، دار كنوز المعرفة، الأردن.
- فوداك، روث، ماير، ميشيل، 2014، الجوانب النظرية والمنهجية في التحليل النقدي للخطاب وتحليل التصرفات لدى فوكوه، ياجر وماير، في: مناهج التحليل النقدي للخطاب، روث فوداك وميشيل ماير، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- المبرد، أبو العباس، 1993، الكامل، تحقيق أحمد محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.
- محمد، علي محمود، غضبان، حيدر، 2022، مناهج التحليل النقدي للخطاب، المقاربة الإدراكية الاجتماعية، لفان دايك، إنموذجا، مجلة نسق، مجلد 35، عدد 8، 645.
- المحمودي، محمد باقر، 1966، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، مطبعة الآداب في النجف الأشرف.
- المعتزلي، ابن أبي الحديد، 2007، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد.
- نحلة، محمود أحمد، 2001، علم اللغة النظامي، مدخل الى النظرية اللغوية عند هاليداي، ملتقى الفكر.
- النويري، شهاب الدين، نهاية الأرب، في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
- وهابي، نزيهة، 2020، أسس تطبيقات التحليل النقدي للخطاب في دراسات الخطاب الإعلامي، مجلة جسور المعرفة، المجلد 6، عدد 4.

Sources and References

- Baker, Paul & Sibonile Elleing, 2018, Key Terms in Discourse Analysis, translated by Nasser Abdullah, King Saud University Press.
- Bakkar, Saeed, 2021, Critical Discourse Analysis: Its Concept and Approaches, Al-Khitab Journal, Vol. 16, No. 2.
- Van Dijk, Teun A., 2001, Textual Studies: An Interdisciplinary Introduction, translated by Saeed Bahiri, Cairo Book House.
- Van Dijk, Teun A., 2014, Discourse and Power, translated by Ghaida Al-Ali, National Center for Translation, Cairo.
- Van Dijk, Teun A., 2025, Ideology: Discourse–Cognition–Society – A Multidisciplinary Perspective, translated by Dr. Basim Jubair, Al-Marhaj Publishing & Distribution, Dajla Academic Publishing.
- Ibn Qutaybah al-Dīnawarī, 1990, Al-Imamah wa al-Siyasah, edited by Ali Shiri, Dar al-Adwaa, Lebanon.
- Al-Sharif Al-Radi, 2010, Nahj al-Balagha, edited by Sheikh Qais Bahjat al-Attar, Al-Rafid Foundation for Publications.
- Al-Zalitni, Mohamed Lotfi, 2014, From Discourse Analysis to Critical Discourse Analysis, Al-Khitab Journal, Issue 17, Algeria.
- Saleh, Hossam El-Din Abdel Qader, 2023, Interweaving Approaches in Critical Discourse Studies: Van Dijk and Fairclough as Models, Idhafat Journal.
- Abdel Latif, Emad, 2009, From Awareness to Action: Contemporary Approaches to Resisting Authoritarian Discourse, Thaqafat Journal.

Journal of Arabic Language and Literature. No. 41 Dhu Al-Hijjah 1446 - Jun 2025	ISSN Print 2072 -4756 ISSN Online 2664-4703	مجلة اللغة العربية وأدائها العدد: ٤١ ذو الحجة ١٤٤٦ - حزيران ٢٠٢٥
--	--	--

- Abdel Latif, Emad, 2019, Critical Discourse Analysis in the Arab World: A Brief Overview, in: Critical Discourse Analysis: Concepts, Fields, and Applications, Berlin: Democratic Arab Center.
- Obaidi, Monia, 2018, Critical Discourse Analysis: Models from Media Discourse, Kunooz Al-Marifa Press, Jordan.
- Wodak, Ruth & Meyer, Michel, 2014, Theoretical and Methodological Approaches in Critical Discourse Analysis and Foucaultian Practice Analysis, in: Methods of Critical Discourse Analysis, Ruth Wodak & Michel Meyer, National Center for Translation, Cairo.
- Al-Mubarrad, Abu Al-Abbas, 1993, Al-Kamil, edited by Ahmed Mohamed Al-Dali, Al-Risalah Foundation.
- Mohammed, Ali Mahmoud & Ghadban, Haider, 2022, Approaches in Critical Discourse Analysis: Van Dijk's Socio-Cognitive Approach as a Model, Nasq Journal, Vol. 35, No. 8, p. 645.
- Al-Mahmoudi, Mohammad Baqir, 1966, Nahj al-Sa'adah fi Mustadrak Nahj al-Balaghah, Al-Adab Press, Najaf Al-Ashraf.
- Ibn Abi Al-Hadid Al-Mu'tazili, 2007, Sharh Nahj al-Balagha, edited by Mohamed Ibrahim, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Baghdad.
- Nahla, Mahmoud Ahmed, 2001, Systemic Linguistics: An Introduction to Halliday's Linguistic Theory, Multeqa Al-Fikr.
- Al-Nuwairi, Shihab al-Din, Nihayat al-Arab fi Funun al-Adab, edited by Mufid Qamiha, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut – Lebanon.
- Wahabi, Naziha, 2020, Foundations and Applications of Critical Discourse Analysis in Media Discourse Studies, Jasour Al-Marifah Journal, Vol. 6, No. 4.

رسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية..... (317)

- Mahboob A & Paltridge, 2013, Critical Discourse Analysis and Critical Applied Linguistics, The encyclopedia of applied linguistics, Wiley Blackwell, UK..

Journal of Arabic Language and Literature. No. 41 Dhu Al-Hijjah 1446 - Jun 2025	ISSN Print 2072 -4756 ISSN Online 2664-4703	مجلة اللغة العربية وأدائها العدد: ٤١ ذو الحجة ١٤٤٦ - حزيران ٢٠٢٥
--	--	--